

# في سورة التوبة .. تأمل واقمك لتعدل المسار

غزة / فاطمة أبو حية:

يحدث، وهذا ما يتحدث عنه الكاتب العراقي د. أحمد خيرى العمري في إحدى حلقات برنامجهم: "لا نأسف على الإزعاج" التي ترصدها "فلسطين".

في مواجهة المعاصي وتمنيات التوبة منها ينتظر كثير من الناس موقفاً يهزهم ويوجههم نحو طريق النجاة ليسيروا فيه بعيداً عن ارتكاب الذنوب، ولاشك أن هذا لا يحدث دوماً، بل قلماً

## فيلم حربي

ويقول العمري: "للتوبة في أذهاننا صورة رومانسية، تشبه فيلمًا حالماً فيه مشاعر ودموع، وترتبط غالباً بقصص التائبين التي ورثناها عن السلف الصالح، وتبدأ غالباً بموقف عادي بسيط لشخص كان بعيداً عن الله (تعالى)، فتأتيه التوبة كما يأتي الحب الذي يقولون عنه إنه من النظرة الأولى، دون سابق إصرار أو ترصد أو معرفة، تأتي التوبة كما تأتي الصاعقة على شخص ما فتقلب كيانه وتغيره 180 درجة"، مضيفاً: "الكثيرون ينتظرون هذه الصاعقة التي نادراً ما تأتي، كما هو نادر أن يكون حب النظرة الأولى جاداً". ويتابع: "هذه هي التوبة بالصورة الرومانسية في أذهاننا، لكن ما هي الصورة التي قدمها القرآن للتوبة؟ التوبة بنسختها القرآنية في سورة التوبة، هذه السورة تختلف عن كل سور القرآن، فهي سورة غاضبة جداً، فكل سور القرآن تبدأ بالبسملة، أما سورة التوبة فتدخل مباشرة في الموضوع، ومن أسماها "براءة"، فهي السورة التي تعني البراءة والقطيعة النهائية مع المشركين"، مضيفاً: "وهذا سياق مختلف جداً عن الصورة الذهنية في بالنا عن التوبة، هذه الأجواء لا تشبه أجواء الفيلم الرومانسي في أذهاننا، ففي سورة التوبة أجواء تشبه فيلمًا حربيًا لا رومانسيًا".

ويكمل: "ستشعر بالخيبة؛ فنحن غالباً نريد من القرآن أن يؤكد فكرتنا الأولية، لكن لو تركت فكرتك الأولية، وتاملت فيها جيداً لوجدت أن سياقاتها أقرب إلى الفيلم الحربي منها إلى الفيلم الرومانسي، بالتدرج ستفهم أن هذا الفهم الشعاري للتوبة ليس واقعيًا أو حقيقيًا البتة، وأن التوبة في حقيقتها أقرب إلى سياقات سورة التوبة، إنس مؤقتاً أن السورة نزلت في قتال المشركين وفضح المنافقين، وتخيّل أنها نزلت لتحدث عنك، وعن صراعاتك مع نفسك، وضع

نفسك مكان من تواجههم هذه السورة، ستري أنها تتحدث عن حرك مع نفسك للخلاص من الذنوب والمعاصي".

ويلفت العمري إلى أنك في تفاصيل سورة التوبة ستجد تفاصيل توبتك الشخصية، ستري ساعة شدة يمر بها المسلمون، وسفرًا بعيداً، وحرًا شديداً، وتركاً للأهل والأبناء والأموال والثمرات، ومضياً لقتال بعيد، قائلاً: "كذلك هي توبتك الشخصية، إنها ليست نزهة في حديقة، بل هي رحلة وعرة صعبة، وترك لمعاصي وذنوب ربما هي أقرب لك من أهلك".

ويشير إلى أن في السورة حديثاً عن المواقف التي نقضها المشركون، وأعداء أولئك الذين اختاروا ألا يلتحقوا بالرسول في ساعة العسرة، قائلاً: "وستجد من بينها أعداءً تستخدمها لتبرر أخطائك، لكنك لست منافقاً، بل أنت تعرف ذلك، وتريد أن تثبت أنك لست كذلك".

ويكمل العمري: "ستحاول التخفيف عن نفسك ببعض الأعمال الصالحة التي تقوم بها، لكن سورة التوبة ستصدمك بأعمال صالحة يقوم بها المشركون، وهذا سيجعلك تتأمل في أعمالك الصالحة، أتفعلها لأن الحسنات يذهبن السيئات أم لأنها تلهيك عن مواجهة معاصيك".

ويقول: "في لحظة صعبة سيبدو لك أن كفة المعركة ليست في مصلحتك، وستضيق عليك الأرض بما رحبت، وستعتقد أنك خاسر لا محالة، وأنت لن تنفذ من فخ المعصية، ولكن فجأة ستندقق التوبة في فضاءات روحك، ستشعر



حينها بنوع مختلف من السعادة، وستشعر أنك أقوى".

ويضيف العمري: "هل ستبقى تؤجل حرك مع نفسك؟!، وتمنحها الهدنة تلو الأخرى؟!، لن أقول لك: "أخش الموت"، لأنك تعرف جيداً أنه قد يكون قريباً جداً، ولكني أقول لك: "أخش نفسك"، لأنك مع كل هدنة تمنحها لنفسك أنت أيضاً تمنح الجزء السيئ منها الفرصة لكي يتمكن أكثر، وعندما تأتي لحظة المواجهة ستجد نفسك أضعف مما تخيلت، لا تؤجل توبة اليوم إلى الغد، فربما للغد معصية أخرى".

## موت الفجأة

أ. عبد الفتاح حمودة  
محاضر في كلية الدعوة الإسلامية

فجأة كما حصل لعبد الرحمن بن أبي بكر (رضي الله عنهما)، ولا يدل ذلك على الغضب أو سوء الخاتمة. وقد ورد في بعض الروايات الضعيفة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يتعوذ منه، فعن أبي أمامة أن "رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يتعوذ من موت الفجأة، ويعجبه أن يمرض قبل أن يموت"، وضعفه ابن الجوزي وابن حجر، وقال عبد الحق: "لا أصل له". نسأل الله (تعالى) حسن العمل وحسن الختام، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وجاء في حديث أبي داود قوله (صلى الله عليه وسلم): "موت الفجأة أخذة أسف"، وهو حديث صحيح (3110). الأسف بمعنى: الغضب، أي: أخذة غضب من الله (عز وجل)، وليس كل من مات فجأة هو مغضوب عليه، فقد يموت الإنسان فجأة وهو على خير، لكن الفاجر والفاسق والكافر هؤلاء هم الذين ينطبق في حقهم هذا، فهؤلاء إذا ماتوا فجأة لا يمكنهم أن يتداركوا، أو أن يتوبوا، وأما من مات وهو على استقامة وحالة طيبة فلا يقال: "إنه مغضوب عليه"، وقد يحصل لبعض أهل الصلاح والتقى أن يموت

فيقال: "ابن ليلتين"، وهي علامة انتفاخ الأهله، كما في حديث الطبراني الصحيح عن أبي هريرة: "من اقترب الساعة انتفاخ الأهله"، وهي علامة من العلامات التي لما تقع. وتتخذ المساجد طرقات، أي يصبح المسجد طريقاً يمر منها الرجل، دون أن يصلي فيه تحية ولا يعتكف فيه لحظة. ويظهر موت الفجأة، وذلك كأن يسقط الإنسان ميتاً وهو قائم يكلم صاحبه، أو يتعاطى مصالحه، دون أن يكون به مرض، أو كبير في السن.

أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) عن علامات الساعة وأماراتها في أحاديث كثيرة، من هذه الأمارات أمارات وقعت وانتهت، وأمارات وقعت وما زالت، وأمارات لما تقع. ومن العلامات التي وقعت وما زالت تقع: موت الفجأة. جاء في الحديث: "من اقترب الساعة أن يرى الهلال قبلاً، فيقال ليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقات، وأن يظهر موت الفجأة" [حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (5899)]. والمعنى: أن الهلال يُرى مجرد أن يطلع لعظمه ووضوحه.

## الصحابيُّ الحارث بن الصَّمة الأنصاري (رضي الله عنه)

د. أحمد إدريس عودة  
أستاذ الحديث الشريف وعلومه المساعد

فقاتل حتى قتل، وأسر عمرو بن أمية (رضي الله عنه). وفي الحارث قال الشاعر يوم بدر: يَا رَبِّ إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ الصَّمَّةِ ... أَهْلٌ وَفَاءٌ صَادِقٌ وَدَمَةٌ أَقْبَلُ فِي مَهَامِهِ مَلِيحَةٌ ... فِي لَيْلَةِ ظُلَمَاءٍ مُدْلِهِمَةٌ يَسُوقُ بِالنَّبِيِّ هَادِي الأُمَّةِ ... يَلْتَمِسُ الجَنَّةَ فِيمَا ثَمَّةٌ وَقِيلَ: "إنما قال هذه الأبيات علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يوم أحد". رضي الله (تعالى) عن حارثه، وعن صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) والتابعين.

أحد، فثبت معه يومئذ حين انكشف الناس وباعه على الموت، وقتل عثمان بن عبد الله بن المغيرة يومئذ، وأخذ سلبه (أي ما كان عليه من الثياب والسلاح)، فسلبه النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يسلب يومئذ غيره. ثم شهد (رضي الله عنه) بئر معونة فقتل يومئذ شهيداً، وكان هو وعمرو بن أمية (رضي الله عنهما) في السُّرْح (أي الرعي)، فرأيا الطير تعكف على منزلهم فاتوا فإذا أصحابهم مقتولون، فقال عمرو: "ما ترى؟"، قال: "أرى أن ألحق برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال الحارث: "ما كنت لأتأخر عن موطن قتل فيه المنذر، أي ابن عمرو (رضي الله عنه)، فأقبل حتى لحق القوم

الحارث بن الصَّمة بن عمرو الأنصاري الخزرجي ثم النجاري يكنى أبا سعد بابنه سعد. كان النبي (صلى الله عليه وسلم) قد آخى بينه وبين صهيب بن سنان (رضي الله عنه). وكان الحارث (رضي الله عنه) فيمن خرج مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى غزوة بدر، وكسر بالروحاء، فزده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة، وضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهدها. ثم شهد الحارث (رضي الله عنه) مع النبي (صلى الله عليه وسلم) غزوة

ينبغي لمن تظاهرت عليه نعم الله أن يقيدها بالشكر ويحفظها بالطاعة وبيوعها بالتواضع لتدوم.

وصية اليوم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «السَّفَرُ قُطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ، وَطَعَامَهُ، وَشُرَابَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ، فَلْيُعْجِلِ الرَّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ».

حديث شريف: